العربي
السفير
جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

17 | 1

الخميس ٩ آب ٢٠١٢ ـ الموافق ٢١ رمضان ١٤٣٣ هـ ـ العدد ١٢٢٥٤

AS-SAFIR Arabic political daily – August 9, 2012 N° 12254

مشاهدات من ريف غرب حلب، حيث المتمردون ريفيون وفقراء وشبان. حيث الأرض أهملت حتى كلح لونها، فبات العمل الوحيد المتوافر هو اقتلاع الصخور.
2

الزلابية توحد موائد الطعام في رمضان، رغم تنوع الأطباق. نتفحص الإفطار في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، وفي مخيمات اللجوء في لبنان، وفي العراق والبحرين.
3

إنها ذكرى رحيل محمود درويش الرابعة. ورغم مرور السنين، وكامب دافيد ثم أوسلو وسواهما، فما زالت «سجل أنا عربي» تتحدى الاحتلال. هذه لوحة من تونس.
4

ليبيا بعد القذافي: وظائف تضخيم دور القبيلة

ليبيون يهربون من القتال والاضطهاد العرقي

لا يوجد شك في أثر التدخل الغربي في ليبيا، الذي علاوة على نتائجه الجيوستراتيجية الكبرى على البلاد ومحيطها الإقليمي، كما تبين ذلك حالة شمال مالي، فهو يفعل في سيرورة إعادة البناء الوطنية وإنتاج الهويات، فيمثل بذلك عامل إخلال بإمكانات الانتقال الديموقراطي.

الانتفاضة الليبية لم تبدأ قبلية

كان مجرَّد تنظيم الانتخابات الأخيرة تحديا كبيرا. فقد انتهى عهد القذافي وسط الفوضى والاضطراب. والصورة التي رسمتها ليبيا حينذاك كانت تتشكل من ميليشيات مسلحة تفرض قانونها بالقوة وتتصادم في ما بينها، علاوة على التصفيات الجسدية السريعة، ومنها تصفية القذافي نفسه، مروراً بالرغبات الانفصالية للمنطقة الشرقية، والصراعات بين القبائل، والمصادمات ذات الطابع الإثني أو الحملات العقابية ضد المهاجرين. وبدت ليبيا كبلد يتسلح وينقسم وفق شروخ عشائرية وقبلية أو جهوية. كما بدا أن غياب السلطة المركزية والانكفاء نحو الهويات العشائرية أو الدينية وعوامل التجاذب المتنوعة، ستكون عقبات تقف حائلا ضد إعادة بناء دولة قانون، بل ببساطة أي دولة مستقرة.

هل استولى الميت على الحي إذاً؟ ما الذي كان بإمكان المواجهات بين الميليشيات، خصوصاً القبلية منها، أن تعنيه في سياق ما بعد الثورة، حين كانت ولادة سلطة مركزية تبدو شاقة؟ هل تداعيات الانتفاضة الليبية تنحصر في استحضار القبائل إلى صدارة المشهد لتنتقم من المدينة ومن الدولة الحديثة؟ هل نحن أمام إعادة الانتاج الأبدية للمشهد الخلدوني، حيث يحدث الانبعاث الدوري لـ«العصبيات» القبلية، المنطلقة من أعماق الأنماط الريفية، والتي تفكك السلطات؟ ألا تؤكد «عودة» القبائل في ليبيا، أكثر من عودة الاسلاميين إلى صدارة المشهد في مصر وتونس والمغرب، «قدرٌ» يتمثل بتجذّر العالم العربي في علاقات التضامن الابتدائية، الطوائفية والتقليدوية، كعقبات أمام العلمنة، ويبرّر التسلّط كوسيلة ضرورية للتماسك الوطني بوجه إغراءات التفكك؟

برغم ذلك، يجدر التذكير بأن الحركة المعارضة في ليبيا وُلدت وتنظّمت على أسس مدنية، حديثة، وبتأييدٍ واسع من السكان، ووفق دينامية تتجاوز عوامل التشرذم، والتي من بينها الانتماءات القبلية التي يتم تضخيمها اليوم.

كان للثورتين التونسية والمصرية اثرهما في الدفع إلى موجة الاحتجاج التي انطلقت من الشريحة الأكثر دلالة للمجتمع المدني الليبي، المحامين، ومن المدينة المتمردة تقليديا، بنغازي، وانتشرت وطنيا حتى طرابلس قبل أن تواجَه بقمع دموي حرف ديناميتها. ولعبت شبكات التواصل الاجتماعي دورا في التحرك، عززه نشاط المدونين وعلى رأسهم «دبوس» (الذي طارده القذافي ثم اغتاله بعد ذلك قناص)، والتقت بتحرك كان عمره أشهرا، وكان سابقا على الانتفاضات المنفجرة في البلدين الجارين، حيث كانت «لجنة أهالي المفقودين» تنظم اعتصاما أسبوعيا أمام قصر العدل في طرابلس لمعرفة مصير المفقودين من سجن أبو سليم، حيث جرت تصفية ١٢٠٠ سجينا إسلاميا عام ١٩٩٦. وقد أدى اعتقال المحامي فتحي طوربال، وهو أشهر المدافعين عن حقوق الإنسان في البلاد إلى تسارع الأحداث، كما أدى القمع الدموي العنيف إلى دفع الحركة إلى التسليح المبكر، حتى بالقياس إلى ما جرى في سوريا.

التمدين المكثَّف أضعف الولاءات التقليدية

الهويات القبلية في ليبيا، مثلما هو الحال في دول المغرب العربي، حاضرة في الذاكرة الجماعية، وتلعب بتفاوت دوراً في تعيين وجهة الميول والتضامنات. لكن الرابط القبلي تأثر بشكل عميق بالتحولات الاجتماعية التي أضعفته وغيّرت طبيعته. فهو اهتزّ جدياً بفعل تمدين قوي يتفوق على سائر دول المغرب. ففي عام ٢٠٠٤، كان ٨٦ في المئة من الليبيين حضريون بالفعل، بمقابل ٦٤ في المئة في تونس و٥٥ في المئة في المغرب. بل يتجمع القسم الأكبر من الحضريين الليبيين في أربع مدن، وتضم طرابلس وحدها ٢٨ في المئة من مجموع السكان (حوالي مليون و٨٠٠ ألف قاطن). وغالبية كبيرة من الليبيين هم من سكان المدن منذ جيلَين على الأقل. فمنذ ١٩٧٥، بلغ منسوب التمدين ٦١ في المئة، وعام ١٩٨٠ وصلت هذه النسبة إلى ٧٠ في المئة. أدى استقرار التحضر وصموده زمنياً إلى أشكال جديدة من الهويات المدينية. بل يمكن لعامل أساسي أن يشهد من دون لبس على تآكل المنطق القبلي: مؤشر الخصوبة انخفض من ٧٫٥٧ طفل لكل امرأة في ١٩٧٠ إلى ٢٫٥ طفل للمرأة الواحدة في ٢٠١١. يخفض هذا المسلك الديموغرافي من احتمال تزايد الذرية الذكرية، وهي أساس إعادة إنتاج نظام القرابة والقبيلة، ويشير إلى أن الاستراتيجيات الديموغرافية والزوجية تخطّت المنطق القبلي الذي يفقد بهذه الطريقة أساس إعادة إنتاج نفسه.

لقد ظهر هذا الاختلاط السكاني بوضوح خلال الانتفاضة، حين لم يكن الحيّز القبلي مهيمناً، لدرجة أن معظم المقاتلين كانوا يجهلون الجذور القبلية لرفاقهم في السلاح. الكتائب العسكرية الوحيدة التي كانت تتمتع بتجانس قبَلي، كانت تلك التي تأسست في الداخل الليبي، في البلدات أو القرى الصغيرة حيث لم يكن هناك اختلاط سكاني.

لكن درجة العسكرة التي فُرضت على السكان أتاحت للقبائل فرصة البروز، بغاية «استراتيجية» هي الضغط على موازين القوى المستقبلية. لأن متانة ومقاومة «العصبية» القبلية تجعلانها تمتلك قدرة أكبر على التعبئة العسكرية. وهذه القدرة المفرطة على التعبئة تؤدي إلى التشويش على المشهد السياسي، والتمويه على الوقائع المجتمعية الجديدة. وقد تعاظمت هذه القدرة العملية للقبائل لأن الحركة المتمردة على النظام كانت نتيجة تعبئة محلية ولامركزية، أعاق العنف المفرط والتدويل السريع للصراع إمكانات توحّدها وفكِ حواجزها الأصلية. وهكذا، وجدت القبيلة الليبية نفسها تمتلك فعالية أكبر بما لا يقارَن من وزنها الاجتماعي والديموغرافي.

أخيراً وخصوصاً، فليس التعبير من خلال القناة القبَلية نتيجة لانهيار الدولة. قام القذافي، معاكساً بذلك وجهة التغيرات المجتمعية، بترقية الإطار القبلي إلى دور السلطة الحصرية للتفاوض مع السكان، بهدف تهميش احتمال قيام أي آلية مؤسساتية أو أي كيان مدني مستقل. إنّ توزيع الريع بشكل مشروط بالولاء السياسي من خلال زعماء القبائل حصراً، أعاد اختراع التقليد القبلي، وولّد تشدداً في العداوات، وصعوداً للعدوانيات، وانكفاءً نحو الهوية القبلية التي تحولت إلى الوعاء الحصري لاستقبال المطالب الاجتماعية والطموحات الشخصية بالترقي الاجتماعي.

عودة القبائل، وجهٌ آخر للتحدّي

اتخذ القذافي إجراءات عدة لإسناد القبلية، ومنها قانون ١٩٩٠ الذي منح كل قبيلة الملكية الحصرية للأراضي التي كانت مشاعا لها قبلا، بينما هي أصبحت جزءا من الحيز العقاري المديني. وبالمقابل، كانت السلطة تتمركز بشدة. فقد أدى تهميش الجيش إلى تجزيء الأجهزة الأمنية ، لكن في الوقت نفسه إلى توسيع هائل لعديدها، وإلى تسييج أمني غير مسبوق للبلاد. لقد كان هناك حوالي ٢٠٠ ألف عسكري لسكان لا يتعدون الستة ملايين.

عام ١٩٧٦، كان لم يبق من الأعضاء الـ١٢ لمجلس قيادة الثورة، الذين كانوا ينتمون إلى فئات مضطهَدة أو مُهمشة من مختلف القبائل، إلا أربعة. وجرى استبدال الجميع بأناس من «سرت» ومن قبيلة القذافي نفسه. وقد عزز الريع النفطي هذه الوجهة، فهو بقي ملكية عائلية، ثم عززها الحصار في التسعينيات، وكذلك الصدمة النفطية المضادة، أي انخفاض الريع، ما قوى أهمية المضاربة العقارية. ونشأت «لجان التطهير ومكافحة الفساد» على هذا الأساس، وكان بإمكانها مصادرة العمليات التجارية والعقارية «غير المجازة» وقمع شبكات الأعمال المستقلة، كما حدث مع مقاولي درنا. هكذا ارتفع معا، كالعادة، منسوب القمع والنهب. واشترك هذا مع «تلزيم» استخدام العنف عبر وحدات النخبة التي يديرها أبناء القذافي الثلاثة ووحدات المرتزقة (الكتيبة الإسلامية الأفريقية). أما على المستوى المحلي، فقد مُنح هذا التلزيم للتراتبية القبلية.

ثمة الكثير من المقارنات مع العراق بخصوص آليات انهيار الدولة وانتشار الخصوصيات الناجم عن التدخل العسكري الأجنبي، وتذرر المجتمع الذي يجعل البديل الديموقراطي صعبا. ففي ليبيا كما في العراق، جرى التلاعب بالمنافسات القبلية والجهوية (والمذهبية في حال العراق)، ما أدى إلى انتشار العنف داخل المجتمع، والى بناء أجهزة مختلفة وميليشيات على أسس الهويات الابتدائية.

أما المواجهات التي تصنف بأنها قبلية وتتصدر المشهد اليوم، فهي ليست بالأمر الجديد، لا بشكل تمظهرها، ولا بخيوط الانقسام التي تفعل فيها. عام ٢٠٠٨، وقبل ثلاث سنوات من سقوط القذافي، حدثت مجابهات دموية في «الكفرة» بين قبائل التبو والزوي. وهي قبائل يعبِّر تمركزها في المناطق الحدودية عن أهمية السيطرة على التجارة العابرة للحدود، موضع التنافس الأبدي. كما أن قمع البربر كان ممارسة سائدة منذ وصول القذافي إلى السلطة. وقد راجت العديد من حالات الصدام القبلي على امتداد العقد الأخير لدرجة أقلقت النظام، الذي وجد نفسه مضطراً للبحث عن تقارُب مع عدوّه التاريخي، الحركة السنوسية، بسبب طابعها العابر للقبائل والاثنيات، في حين كانت التعابير العنفية للتجزئة تتضاعف. وهي كانت منذ ذلك الوقت تشير إلى محدودية أشكال الهيمنة المبنية على الولاءات غير التوسطية والمجزأة، وإنْ في سياق ريعي. وهي، بالتوازي مع ارتفاع وتيرة حركات الاحتجاج المدنية، الوجه الآخر للضعف الضارب في البناء التسلطي.

إن تموضُع الهويات الابتدائية على الساحة، تلك التي فرضتها السلطة لتسهيل التبادلات السياسية، تحوّلت إلى عنصر انعدام استقرار لهذه السلطة نفسها. وهذه الترجمة العنيفة للتشرذم الذي نراه في مرحلة ما بعد القذافي لا تنبع جذورها إطلاقاً من الحرب القبلية، ولا من إعادة إنتاج لمشهدٍ خلدوني ما، يقوم على انتقام الريفيين من الحضريين. بل هي نمط تفاوض قسري: كانت كذلك، وما زالت اليوم، وإنْ في سياق جديد من الحرب والسلطة المركزية غير المستقرة. وهي تطالب بالاندماج.

إن إعادة بناء الدولة في ليبيا هي قبل كل شيء إعادة بناء لأجسامها التوسطية التي دمّرتها الدولة القذافية.

علي بن سعد

أستاذ وباحث في «المركز الوطني للدراسات العلمية» ــ معهد الدراسات والأبحاث حول العالم العربي والاسلامي CNRS-IREMAM في أكس، فرنسا، وفي المركز الوطني للدراسات العلمية، مركز جاك بيرك، الرباط.

– كانت ليبيا أول مكان جُرِّب فيه القصف بالطيران. حدث ذلك عام ١٩١١، أثناء حرب احتلالها الاستعمارية من قبل الإيطاليين.

– مساحة ليبيا مليون و٧٥٩ الف كيلومتر مربع. لم يتبق من المساحات المزروعة (التي كانت حتى الخمسينيات ٣٠ في المئة من مساحة البلاد) إلا ١ في المئة منها، و٨ في المئة منها مراع. وليبيا هي المنتج الثاني في افريقيا للنفط ويقدر احتياطيها منه بأكثر من ٤٦ مليار برميل عام ٢٠١١، وهو يمتاز بنوعية جيدة وبانخفاض كلفة استخراجه وبقربه من أسواقه (أوروبا). يمثل النفط ٩٣ في المئة من قيمة عائدات البلاد، و٩٥ في المئة من صادراتها. وتبلغ حصة النفط من الناتج المحلي الخام ضعف ما هي عليه حصة السعودية مثلا، وثلاثة أضعاف حصة إيران. لدى ليبيا أيضا غاز لم يُستخدم بعد، أو استخدم بشكل قليل (٢٨ مليار متر مكعب حتى ٢٠٠٩ من أصل ١٥٤٨ مليار متر مكعب).

المهرجانات وثقافة المهرّجين في المغرب

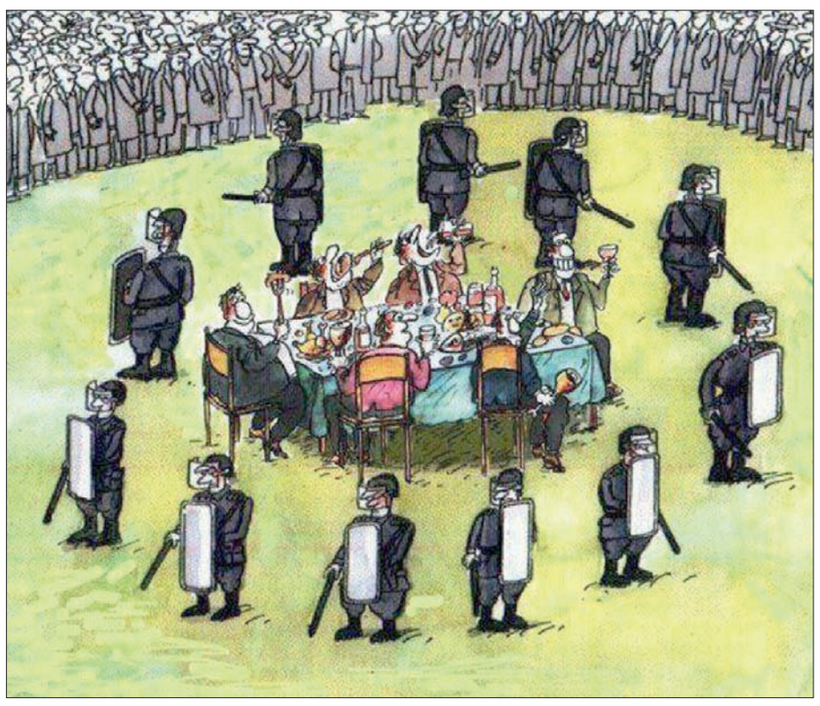

بناء المسرح وتفكيكه، تركيب الأضواء الكاشفة بكثرة، الضجيج حول الحدث، أو وبمعنى أكثر «مهنية»، الإعلام والدعاية المنفلتين من عقالهما، تلك هي اليوم مواصفات الفعل الثقافي في المغرب. وحين يمكن لأصحاب هذه النشاطات دفع تكاليف التجهيزات الأكثر جدة، ذات التأثيرات المعقدة، والمستوردة بأسعار باهظة لإرضاء النجوم الكبار، يسود الاقتناع بأن الأمر ناجح وتمام التمام.

لماذا أصبحت التظاهرات «الثقافية» في المغرب عبارة عن مناسبة تحضر فيها السلطة بقوة، كذلك «الأشخاص المهمّون جداً» (VIP)، ولا ينعقد الأمر بلا مسارح كبيرة حيث الصوت والإضاءة القويين، والألعاب النارية، والفانتازيا، وكل عدّة الإبهار... كل شيء باستثناء الموهبة والإبداع. ألا يتعلق الأمر بمفاهيم متناقضة؟

إجابة أولى قد تتبادر إلى الذهن: إنّ معظم التظاهرات الثقافية تنظم بحكم الامر الواقع. أي أنها لا تولَد نتيجة حاجة ملحّة يفرضها التعبير الخلاق، بل هي بالأحرى نتيجة إرادة متسلطة تريد تثبيت أسسها وتعزيز موقعها من خلال توسيع شبكتها العلائقية، وتحسين صورتها التجارية بفضل الوجود الجبار لوسائل الإعلام. تكتسب التظاهرة الثقافية إذاً أهميتها من مكانة عرّابها، وتُقاس درجة كرم رعاتها الماليين في ضوء قوّة ذلك العرّاب وقربه من رئيس الدولة. بكلام آخر، فمناسبة الأحداث الثقافية، ومكانها الجغرافي، وتوقيتها، أمور باتت تحددها جميعها الاعتبارات السياسية.

الهدف ليس إذا ثقافياً. وهكذا يطغى عليها الطابع السطحي، وهو يُعلي من شأن الاستعراضي والمبهر. يفسّر الاستثمار الترويجي وفي العلاقات العامة تضخّم فئة «الأشخاص المهمين جداً» VIP. وتأخذ التظاهرة مكانها في دورة الاجتماعيات وفقا للمكانة العائدة اليها. ويصبح العلائقي/الإعلامي («الكوم» كما يقال له، بما بات اسم علم يخترق اللغات!) هو الملك في هذا العالم لأنه هو الهدف الاساسي لكل العملية. وملاحظة ذلك يكفي الاطلاع على التقارير حول المناسبة حيث تطغى اخبار الشخصيات الشهيرة الحاضرة، وتلك من بينها الأكثر ملاءمة للتصوير، ووسائل الإعلام التي اهتمت بالحدث. ونادراً ما يتمّ الاعتناء بمضمونه وبجدته. في ظل هذه الظروف، يطغى الشكل على المضمون، مثلما هي الحال في عدد كبير من مظاهر حياتنا اليومية. إنه أحد مؤشرات التخلّف: هي تكنولوجيا غير مهضومة.

ليس الابتكار هدفاً بذاته إطلاقاً، وانعدام وجوده لا يجب أن يفاجئ. ومنطق الحدثي نفسه في المغرب يتجاهله في مساره. و«المروجون الثقافيون» المهيمنون حالياً على المشهد الحدثي لا يفقهون ولو كلمة واحدة عن ماهية الثقافة، وهم بعيدون عن معرفة أهميتها الجذرية في مسار التغيير الاجتماعي والاقتصادي. في الوقائع، نحن أمام مهرّجين أكثر من أي شيء آخر، بجهلهم الذي لا يعونه، كما بغاية فعلهم الذي يهدف إلى التسلية أكثر من أي شيء آخر. وهو ما يبدو أنه يروق لهم. أكثر من ذلك، إنهم مهرجون بالنظر إلى التحدّيات الحيوية التي تواجه البلد، والآفاق غير التفاؤلية، في حين أن آفاقهم الخاصة لا تتجاوز حدود الحسابات المالية للحدث، وحسن استقبال المحسنين إليهم.

هناك بالتأكيد اختلاف كبير بين دينامية التطور الاجتماعي من جهة، وتدخلات تدّعي الطابع الثقافي كتلك. قد يكون مفاجئاً للبعض التأكيد على أن هناك تراجعاً على المستوى الثقافي في المغرب، بالمقارنة مع الماضي. فشئنا أم أبينا، أعجبنا ذلك أم لم يعجبنا، خسر المغرب الثقافي كثيراً من ناحية الجودة، حتى إذا ما قارنا وضعه اليوم مع حقبة الوصاية. أكثر من ذلك، وعلى صعيد مختلف، فهو خسر بالمقارنة مع المجتمع التقليدي.

فبالمقارنة مع هذا، يبدو التراجع واضحاً من نواحي الاتساق والنطاق الثقافيين. لقد خسر الفعل «الثقافي» في المغرب من معناه بالمقارنة مع الماضي. لم يكن «موسم» أيام زمان مجرد حدث يخترعه وجهاء القوم. كان موعداً لالتقاء القبيلة أو مجموعة قبائل، من المدينة أو القرية، بالتالي كان «الموسم» أحد المواعيد النادرة للاحتكاك السلمي، ومساحة للتجارة والتبادل بعد الحصاد ووصول القوافل، مثلما هو موعد للاتحاد والسلام وحل النزاعات. لم يكن اختيار المكان خاضعاً للصدفة أو لنزوة وجيه متنفذ مثلما هو حاصل اليوم. فجغرافية القداسة، والتدفقات التجارية، والقيود المتعلقة بالسكن، كانت التقاطعات التي تلتقي عندها هذه المحدِّدات، وهي جميعها ما كان يقرّر اختيار المكان. هي إذاً عقدٌ أساسية تتجاوز المعطى الثقافي والوسائط المهمة في تنظيم الحيّزين الاقتصادي والاجتماعي. فنحن هنا في صميم النظام الاجتماعي، ومنطقه العميق. كانت «المواسم» تندرج في هذا المنطق، وتؤدي وظيفة حيوية في بلد كالمغرب حيث الثقافة بمثابة بنية تحتية.

ربما لا يجدر توقع أن يحذو مهرجان من مهرجانات زمننا الحاضر أو تظاهرة ثقافية أخرى كبيرة، حذو نموذج «مواسم» أيام زمان. لكن، وببساطة، فمن المشروع الشعور بالقلق بسبب انعدام معنى هذه النشاطات «الثقافية»، وبسبب فراغها واللاجدوى الذي تمثله بالنسبة لمستقبل المغرب. لهذه الأسباب، من الأهمية بمكان تناول أسس هذه النشاطات، لوعيها، وكي لا نسمح بأن يخبرنا البعض روايات وخزعبلات عن الأمر. لا تزال الثقافة في قلب حياتنا وفي صميم مستقبلنا الذي ما زال إشكالياً حتى الساعة. وليس المقصود بالثقافة المعنى الذي تعطيه إياه وزارة الثقافة. سيكون ذلك اختزالياً للغاية. بل المقصود الثقافة بمعناها المكين الذي يخترق مجموع الوزارات، الثقافة التي تطبع مضموناً لتمثيلاتنا ولطموحاتنا. إنّ الطموح بالتموضع في مثل هذا المستوى هو الذي يجب أن يسكن الأشخاص المهتمين بالثقافة. بكلام آخر، علينا أن نناضل من أجل ثقافة تغيير بدل ثقافة المهرّجين.

محمد الناجي

مؤرخ واستاذ السوسيولوجيا الاقتصادية في جامعة محمد الخامس، الرباط

المهرجانات في المغرب كثيرة، أشهرها: مهرجان «موازين» في الرباط، ومهرجان مراكش السينمائي الدولي.

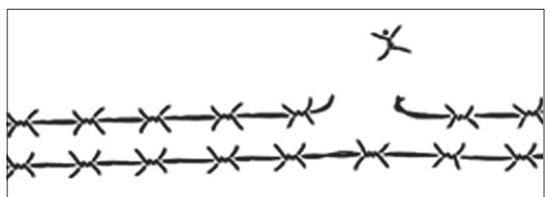

حادثة رفح أمنيّة؟

تتنزه مجموعات مسلحة في طول المنطقة العربية وعرضها، بعضها يوصف بالـ«تكفيري»، أو يفترض ببعضها الآخر أنه ينتمي إلى «القاعدة»، التي باتت لافتة تتوالد في ظلها المبادرات الذاتية، حسب المكان والزمان. بعضهم وجد لنفسه المهمات الملائمة له، فارتكب في العراق مثلا، وما زال، مجازر بشعة، رفعت منسوب الاستنفار المذهبي في المنطقة، وأودت بحياة ألوف الناس. أو هو «يجاهد» هنا أو هناك، فيطيح في طريق مرضاة الله البشر والحجر، والمناضلين من أهل كل بلد، لادعائه تفوقاً يستمده من افتراض امتلاكه ذلك «التكليف» الإلهي، ومن خبرة تراكمت عبر عقدين من الزمن على الأقل. هي إذاً واحدة من نتائج انهيار النظام القديم المريض، والذي تصيب عدوى مرضه تظاهرات الجديد نفسه الذي يجاهد للولادة. يُنسب هجوم رفح في سيناء الذي وقع منذ يومين، إلى واحدة من تلك المجموعات. أو هو في رواية أخرى، تحريك إسرائيلي، على قاعدة «المستفيد من الجريمة». رعى الأميركان هذه الحالة، ما لم تقترب من منابع النفط والغاز، ومن إسرائيل. ها هي اقتربت من الأخيرة. فصرخوا «يا للفوضى»، وطالبوا بالضرب بيد من حديد. والحادثة بكل الأحوال مناسبة جيدة لتبتز واشنطن المجلس العسكري والإخوان في مصر. هذا في الحيثيات. وأما الجواب، فليس أمنياً، بل هو سياسي بالضرورة: أولاً، هل يمكن أن تستمر اتفاقية كامب دافيد معززة مكرمة، ومعها العلاقات الديبلوماسية التي ترافقها؟ وثانياً، هل أثبتت التجربة أنه يمكن معالجة الأمر بالقمع البوليسي وحده؟ وأخيراً فهل يمكن قمع هؤلاء فيما الأفكار السائدة والمتداولة، بما في ذلك في بعض المؤسسات الرسمية، تصب في خانتهم؟ ورابعاً، أين الصراع الفكري والعقائدي مع هؤلاء؟

نهلة الشهال

العربي
السفير

ملف

خسرت جزر القمر (نحو ١٩٠٠ كيلومتر مربع)، العضو في جامعة الدول العربية، جزءاً من أراضيها رسمياً، بعدما اعترف المجلس الأوروبي منذ أيام بجزيرة مايوت منطقة أوروبية، لتصبح «المقاطعة الفرنسية ما وراء البحار» الرقم ١٠١. وكان عام ٢٠٠٩ قد شهد استفتاءً وافق بموجبه سكان مايوت (حوالي ١٨٦ ألف شخص) على الانضمام الكامل إلى فرنسا.

مشاهدات من ثورة فقراء ريف حلب

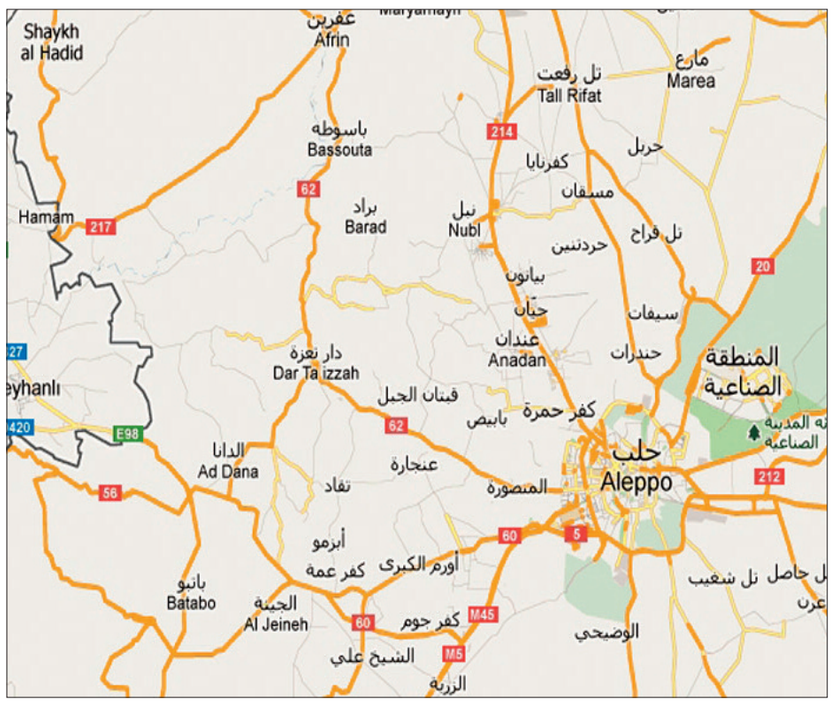

من قرى ريف حلب

في اللحظة التي تطأ فيها قدم الزائر الريف السوري، يكتشف أنّه دخل مكاناً مختلفاً عن ذلك الذي كان في ذهنه. في العقل صورةٌ عن الفقر. وفي العقل صورة عن الاضطهاد والظلم، وصورة عن الإصرار. لكن الصورة التي يُمكن رؤيتها فعلاً، تتجاوز كلّ التخيلات.

لون الأرض أحمر. الجواب حاضر: لا يوجد مياه لري الأرض. هذا ما يقوله أبناء ريف حلب. وهذا ما يمنعهم من العمل في أرضهم، فيتحولون عمالاً يوميين داخل سوريا وخارجها. وبحسب الأرقام الرسمية السورية الصادرة عن غرفة الصناعة في حلب، فإن ٢٢١ ألف هكتار من الأراضي الزراعية في حلب مروية من أصل مليون و٢٢٨ الف هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة، وهي ليست كلها مزروعة. وليس كل المروي مزروعاً.

هذا في شكل الأرض، أمّا في شكل الإنسان، فالصدمة أقصى. يبدأ السؤال عن الأعمار. في كل مرة يكون التقدير أعلى بكثير من العمر الحقيقي لأي شاب. إنه العمل الشاق الذي يقوم به هؤلاء منذ سني مراهقتهم الأولى، بل منذ الطفولة. مهنتهم الأساسية هي تفتيت الصخر. تدمير الجبال وبيعها صخوراً معدّة لإنتاج الحجر الصخري بشكل رئيسي. إنه الانطباع الأول الذي يتكون عن ريف حلب بعد ساعاتٍ من التنقل بين القرى.

تحول الفقر غضباً. يتحدّث سكان الريف عن منظومة الفساد التي تحكّمت بهم طوال سنوات. يقول رئيس البلدية السابق لبلدة قبتان الجبل إن البلدية كانت تضطر لرشوة شركة الكهرباء أو المياه، أو غيرها من مؤسسات الدولة، عندما كانت تريد إنجاز أي تصليحات أو تطوير في بلدته التي تقع في محافظة حلب. وهذه الاخيرة تبلغ مساحتها ١٨٥٠٠ كيلومتر مربع، أي ما يوازي ١٠ في المئة من مساحة سوريا. كل أوجه الحياة تحتاج إلى الرشاوى هنا، حتى استثمار الأراضي الخاصة. والرشاوى لم تكن تذهب الى جهة واحدة. الجميع طمع. جميع فروع الأجهزة الأمنية كانت تريد حصّتها. الفاكهة واللحوم رفاهيّة قد يُمكن شراؤها مرّة في الشهر، حتى لمن حالفه القدر بعمل في غير قلع الصخور. مدير المدرسة في إحدى البلدات يتقاضى معاشاً شهرياً يعادل ٢٢٠ دولارا، والمدرس غير المثبت يعمل بالساعة التي يبلغ أجرها أقل من دولارين. بينما كيلو اللحم بألف ليرة سورية، أي بأكثر من ٢٠ دولاراً.

وبمقدار ما يستفيض الناس في شرح الأسباب الاقتصاديّة ــ الاجتماعية لانتفاضتهم، تغيب عنهم أثناء الشرح الأسباب السياسية. يقولون عن أنفسهم أنهم إسلاميون، «يتبعون السلف الصالح». لكن اللافت في هذه البلدات، أن أغلب الشبان يقولون انهم بدأوا ممارسة شعائرهم الدينية، من صوم وصلاة، منذ بدأت الثورة فحسب. قبل ذلك «كنا طايشين» يقول أحدهم. فقد تصدّر الإسلاميون الصورة منذ اللحظة الأولى في الريف. خرج رجال الدين في التظاهرات، ضُربوا واعتقلوا واضطهدوا واكتسبوا ثقة الناس. وهم من تولّى تنظيم المجموعات المقاتلة لاحقاً. قام هؤلاء بملء فراغ كبير، فنالوا مواقع الصدارة. ولكن إسلامهم سمح، وأغلب من يُناقشك بالسلف الصالح، لا يملك أجوبة جدية أثناء النقاش. هم يثقون بقادتهم الميدانيين، الذين هم قادتهم الدينيون في آن.

المفارقة الأولى أن الانتفاضة هنا ريفية بامتياز. ومدينة حلب تنبذ أبناء الريف. والشرخ كبير بين من ينتمي إلى المدينة العريقة والتجارية، ومن يقلع الصخور ليعيش. وكالعادة في مثل هذه المنظومات، يصبح زواج الريفي من حلبية مشكلة غير قابلة للتجاوز. المفارقة الأخرى، هو أن الثورة شبابية بامتياز. مَن يجُل في قرى ريف حلب، يكتشف أنها باتت فارغة. كبار السن (والمقصود من تجاوز الأربعين!) والنساء والأطفال لاجئون في تركيا، والشباب يُغازلون بنادقهم. في الأصل، موقف كبار السن سلبي من الثورة. حاولوا منع أبنائهم من التظاهر. يروي أحد الشبان كيف استمر التحضير في قرية قبتان الجبل لأسابيع قبل الخروج في تظاهرة في قلب القرية. اعتُبر الأمر تحدياً لكبارها. يشرح من بقي صامداً من كبار السن، سبب معارضتهم للثورة: ستنهزم، مثلما هُزمت حماه في الثمانينيات. الأمر راسخ في أذهانهم. لا يُمكن أن يتخيلوا سوريا من دون آل الأسد. مثل ذلك الضابط المنشق الذي ختم بيان انضمامه إلى «الجيش الحر» بزلّة لسان: «تحيا سوريا الأسد».

الأكيد في أذهان هؤلاء الشبان، أن خروجهم بالسلاح، يعني أنه لا مجال للعودة إلى المنازل إلا منتصرين، أو فالعودة ستكون إلى المقابر. والأكيد أيضاً، أنهم يعون أن مرحلة ما بعد الأسد أخطر وأصعب بكثير من مرحلة إسقاطه.

ثائر غندور

صحافي من لبنان، قام بجولة على منطقة ريف حلب الغربي في الفترة ما بين ٢٠ و٢٨ تموز/يوليو

هل يحتاج المغرب حقاً إلى قطار فائق السرعة؟

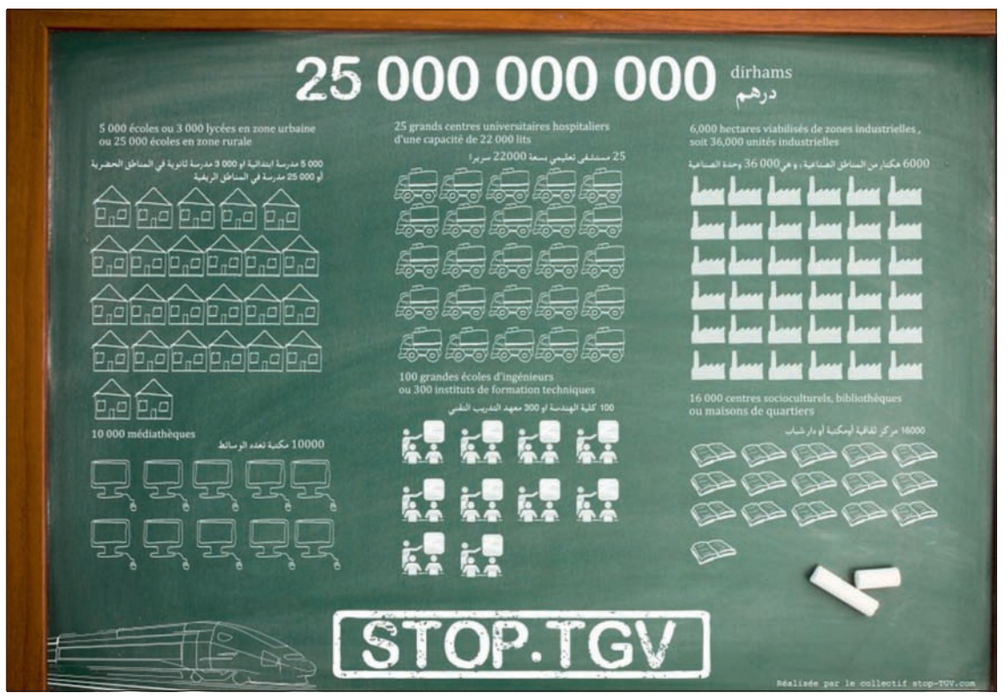

شعار حملة «أوقفوا القطار السريع» في المغرب stoptgv.com

في ٢٢ تشرين الأول/اكتوبر ٢٠٠٧، قام نيقولا ساركوزي، الرئيس الفرنسي آنذاك، وملك المغرب الحالي، محمد السادس، بالتوقيع على بروتوكول اتفاق بين الدولتين يتعلق بمشروع قطار فائق السرعة بين طنجة (شمالاً) والدار البيضاء، بكلفة تبلغ ٣ مليارات يورو.

قبل بضعة أيام من هذا اللقاء، ذكرت جريدة «لو فيغارو» الفرنسية، وهي كانت ناطقة شبه رسمية باسم الرئاسة الفرنسية، في معرض كلامها عن المشروع، أن السلطات المغربية كانت قد اختارت الطائرات الأمريكية الصنع ف-١٦ لتجهيز جيشها بدلا من الطائرة الفرنسية «رافال». ما يعني ضمناً أنه يتعين على المغرب «تعويض» فرنسا... بل هددت الجريدة صراحة بإلغاء أول زيارة رسمية للرئيس (المنتخب قبل قليل) إلى المغرب في حالة رفض هذا الأخير اقتناء التكنولوجية الفرنسية (وتحديداً الـTGV، أو القطار فائق السرعة). وذهبت الجريدة إلى حد «فرض» ضرورة ربط مراكش (التي، من فرط ما اشترى فيها فرنسيون أملاكاً، صارت تعرف بعاصمة فرنسا بالمغرب!) بالدار البيضاء (العاصمة الاقتصادية) وكذلك بمدينة الصويرة «السياحية»!

وبالفعل، وفي إطار هذه الصفقة، ترأس ملك المغرب يوم ١١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٠ مراسم التوقيع على ست اتفاقيات، خمس منها تتعلق بعقود مالية تثقل كاهل ميزانية المغرب بالديون تجاه كل من فرنسا والسعودية وأبو ظبي. أما بالنسبة إلى الاتفاقية السادسة، فكانت تخص التعاقد مع شركة ألستوم (ALSTOM) الفرنسية المزوّدة لتجهيزات القطار فائق السرعة.

ثم انخفضت الكلفة المعلنة في اليوم الأول، والمحددة بـ ٣ مليارات يورو – أي ما يعادل ٣٣ مليار درهم مغربي – إلى أقل من ٢ مليار يورو. وكان جلياً أن هذا التغيير يهدف إلى التقليل من الكلفة المهولة للمشروع، قياسا بموارد بلد غير منتج للنفط... ولممارسة الخفض العجائبي، فقد غُيِّب جزء من المشتريات المقررة، والتي ليست لها علاقة مباشرة بالمشروع، لكنها تخص إصلاح القطارات بالمغرب. وتمَّ التغييب في الإعلان فحسب وليس في الواقع!

لم يسبق الدخول في هذا المشروع أي نقاش في الساحة العمومية المغربية، أقله لإخبار دافعي الضرائب بما سيترتب عن هذا التعاقد الجديد من التزامات مالية عليهم وعلى الأجيال المقبلة. إن لثقافة «السر»، في ما يخص المعلومة العمومية، تقاليد راسخة ببلداننا!

برغم التكتم، فمنذ لحظة تدشين الملك للورشة، في أيلول/ سبتمبر ٢٠١١، بحضور الرئيس ساركوزي والأمير السعودي مقرن بن عبد العزيز، انطلقت حملة «أوقفوا ال TGV» بمبادرة من مجموعة جمعيات غير حكومية، تهدف إلى إلغاء المشروع، وتسأل السلطات على عدة مستويات :

– أولا عن الطريقة التي اتخذ بها القرار، وعن جدوى الأرقام المعلنة، وعن حق المواطنين في معرفة المعلومات الرسمية، وأيضا السؤال عن ضرورة مثل هذا المشروع، وأخيرا وليس أخراً، عن التعاقد في صفقة من دون مناقصة مع شركة كانت الجامعة العربية قد قررت في الخرطوم عام ٢٠٠٦ مقاطعتها لمشاركتها في بناء «ترام الأبارتهايد» في القدس بمعية شركة فرنسية أخرى هي فيوليا (VEOLIA).

بالفعل، وحتى إذا قبلنا بالأرقام المعلنة رسميا، فإن نسبتها الى الناتج الداخلي الخام باهظة. ولعل المقارنة مع بلدان أخرى تساعد على تصور ثقل المشروع. فبالنسبة لفرنسا مثلا، وبالقياس، فإن مشروعاً كهذا، وبالميزانية نفسها، يمكنه انشاء ١٦٧٠ كلم من السكك الحديدية القادرة على تحمل قطارات فائقة السرعة، علما بأن فرنسا تمتلك حاليا ١٨٥٠ كلم من سكك القطار السريع. ويمكن بالمبلغ نفسه بناء ١٨ مولد نووي للكهرباء – علما بأن فرنسا تتمتع حاليا ب١٩ منها. وكل تلك تجهيزات تطلب انجازها عشرات السنين. السكة الحديدية الحالية بين طنجة والدار البيضاء لا يتجاوز طولها ٣٥٠ كلمتراً. لكن الرجوع إلى الوثائق القليلة المتوفرة، تبين أن السكة القادرة على تحمل قطار السرعة الفائقة لن تتجاوز ٢٠٠ كيلومتر!! ما الصلة بين ١٦٧٠ كيلومتر، هي امكانات الميزانية المقررة وكلفة المشروع لو انشأ في فرنسا مثلا، و٢٠٠ كلمتر هي ما سينشأ قي المغرب؟ الله أعلم!

وعلى اية حال، فمثل هذا المشروع في المغرب ضخم ليس مقارنة بناتجه الداخلي الخام فحسب، لكن مقارنة أيضا بالتجهيزات الاجتماعية الفقيرة، التي تجعل المغرب في ترتيب منخفض جدا ضمن المؤشر العالمي للتنمية البشرية (المرتبة الـ ١٣٠ من اصل ١٨٧ دولة في ٢٠١١، بينما يحتل لبنان المرتبة ٧١).

السؤال الذي يبادر الذهن هو: ما هي منفعة مثل هذا المشروع؟ والمقصود هنا للمواطن المغربي الذي سيغطي تكاليفه، وليس للشركة الفرنسية المزودة؟

المبرر الأول لدى السلطات الرسمية أن مستعملي القطار الحالي بين طنجة والدار البيضاء سيقتصدون ساعتين و٣٥ دقيقة من الوقت (السفر بساعتين و١٠ دقائق بدلا من أربع ساعات و٤٥ دقيقة حاليا)، وأن تسريع التنقل بين هذه المدينتين اللتين لهما أهمية اقتصادية خاصة (الدار البيضاء هي العاصمة الاقتصادية التقليدية، وهي أول مركز صناعي في المغرب، بينما يقوم في طنجة ميناء ضخم جديد ومعمل رينو RENAULT للسيارات)، سيفيد كثيرا بالنسبة للأعمال، علما أن القطار السريع هو لنقل الأشخاص لا البضائع. وبالطبع فهناك تسهيل التنقل بالنسبة للسياح. وهنا يُطرح سؤال ثان: من سيتمكن من دفع ثمن التذكرة، خارج رجال الأعمال والسياح؟ وهل عدد المستعملين يبرر الاستثمار؟

هل المشروع مربح كما تدعي السلطات المغربية؟ هل يمكنه حقاً أن يستخرج فائضاً يسمح بسد الديون التي تسبب فيها؟ هذه الديون مضمونة من طرف الدولة، ما يعني أن استحالة الربح سيثقل على الميزانية العمومية حيث ستطرح ضرورة إخراج موارد لسد الديون، علاوة على ضرورة سد العجز الجاري لمشروع خاسر. لأنه بحسب المقاييس الدولية، فأي مشروع لقطار فائق السرعة ينقص عن ٥٠٠ كلمتر هو بالضرورة مشروع خاسر. بل تضاف كلفة الخدمة وهي باهظة.

ستدفع ثمن القطار السريع في المغرب الأغلبية، بمن فيها هؤلاء الذين لن يصعدوا في أي قطار في حياتهم – لا سريع ولا بطيء – بينما لن تستفيد منه إلا الأقلية. وهو أصبح في نظر الحراك الشعبي المعارض في المغرب نموذجاً عن الهدر..الطوعي!

سيون أسيدون

ناشط جمعوي من المغرب

مواقع

شريكة/ صديقة

عبد الناصر على الإنترنت
من الولادة إلى ما بعد «الجنازة»

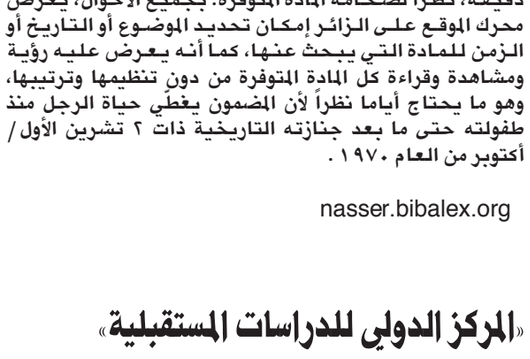

يليق موقع الرئيس جمال عبد الناصر على الانترنت، بوزن الرجل، بغضّ النظر عن الانقسام الموجود بين مَن يمجّده من جهة، ومَن يحمّله مسؤوليات مصائب تاريخية من جهة أخرى. أقامت الموقع «مكتبة الإسكندرية» و«مؤسسة جمال عبد الناصر»، وتؤدي الدكتورة هدى جمال عبد الناصر الدور الرئيسي في إدارته. مضمون الموقع يلبّي حاجات تاريخية وتأريخية وتوثيقية ـ بحثية على الأقل. فهو يحتوي على مجموعة من الوثائق المصرية التي تتضمن أيام عبد الناصر في الصحافة المصرية، أوراق بخط يده، محاضر جلسات اللجنة المركزية لحزب الإتحاد الاشتراكي، قرارات مجلس قيادة الثورة، بطاقات ورسائل متبادلة بين أفراد الأسرة، محاضر جلسات مجلس الوزراء، وبعض المنشورات.

كما أنه يتضمّن مجموعة كاملة من الوثائق الخاصة بالمكاتبات والمراسلات الرسمية بين مصر وكل من بريطانيا والولايات المتحدة. ويقدّم المركز بذا خدمة كبيرة للباحثين وللمهتمّين، حتى لمَن يريد العثور على حجة أو وسيلة لمهاجمة الرئيس الراحل. يكاد المتجوّل بين الأقسام الكثيرة للموقع يجد كل شيء: ٥١٥١٢ صورة فوتوغرافية للراحل وأفراد أسرته ومسؤولين وشخصيات مصرية وعربية ودولية، ١١٢٤ بورتريه، ١٣٥٩ خطبة مسموعة ومقروءة ومرئية له، ١٢٠٩ افلام تسجيلية وثائقية بالإضافة إلى «مجموعة عبد الناصر والثقافة» التي تضم الفنون التشكيلية والتطبيقية التي اتخذت من عبد الناصر موضوعاً لها، كاللوحات الفنية والعملات التي خُصصت لذكراه، والكاريكاتور الذي شكّل هو موضوعها، وأغاني ثورة يوليو ١٩٥٢، والقصائد الشعرية ومؤلفات عبد الناصر، المعروفة منها والمجهولة.

منهجيّة البحث عن المضمون، أكان مكتوباً أم مصوراً أم مسجّلاً، دقيقة، نظراً لصخامة المادة المتوفرة. بجميع الأحوال، يعرض محرك الموقع على الزائر إمكان تحديد الموضوع أو التاريخ أو الزمن للمادة التي يبحث عنها، كما أنه يعرض عليه رؤية ومشاهدة وقراءة كل المادة المتوفرة من دون تنظيمها وترتيبها، وهو ما يحتاج أياما نظراً لأن المضمون يغطّي حياة الرجل منذ طفولته حتى ما بعد جنازته التاريخية ذات ٢ تشرين الأول/ أكتوبر من العام ١٩٧٠.

nasser.bibalex.org

«المركز الدولي للدراسات المستقبلية»
«مركز تفكير» مصري

صحيح أن «المركز الدولي للدراسات المستقبلية» المصري ليس حديث الولادة، إذ يعود تأسيسه إلى العام ٢٠٠٢، إلا أنه وجد في الثورات العربية عموماً، والمصرية خصوصاً، مفتاحاً للخوض في مواضيع حديثة. ويظهر ذلك في المؤتمرات التي ينظّمها، وآخرها كانت بعنوان «دور وتأثير القوى الإقليمية غير العربية (تركيا ـ ايران) على متغيرات العالم العربي». وقد سبقتها ندوة «مستقبل النظام العربي في ضوء الثورات الشعبية وصعود قوى سياسية جديدة» و«الثورات العربية.. دور التنظيمات الجهادية المتطرفة ـ رؤية مستقبلية» وغيرها.

وبحسب النبذة التعريفية للمركز على موقعه الالكتروني، فهو عبارة عن «مركز تفكير» (think tank)، أو «مؤسسة بحثية مصرية مستقلة غير هادفة للربح لدراسة القضايا ذات الطابع الاستراتيجي، والتي تتصل بالمتغيرات العالمية وانعكاساتها المحلية والإقليمية والدولية».

للمركز طابع نخبوي، بدلالة وجود عدد كبير من السفراء السابقين والضباط المتقاعدين في مجلس أمنائه، ومجلسه التنفيذي، وهيئة المستشارين فيه.

يُصدر المركز عدداً من المنشورات، أبرزها: سلسلة «مفاهيم» التي تعالج مضمون وعناصر وأبعاد المصطلحات الشائعة ذات العلاقة بالقضايا المرتبطة بالتطورات الدولية والإقليمية المؤثرة على مصر، أو القضايا محل الجدل العام، وسلسلة «ترجمات» المتعلقة بمصر والمنطقة، وسلسلة «قضايا» مع ملخص بالانكليزية، ونشرة «المرصد» الشهرية، فضلاً عن «إصدارات خاصة» لنشر التوصيات الرئيسية ونتائج المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش والدراسات، وأقراص مدمجة وشرائط فيديو عن نشاطات ومؤتمرات وورش يقوم بها، إلى جانب إصدارات «موسمية» متعلقة بالانتخابات مثلاً.

يهتمّ المركز بشكل لافت بالتشديد على رفض التمويل الخارجي «بأي صورة، من أي جهة غير مصرية، تحت كل الظروف»، مع اعتماده على المنح المقدمة من المؤسسات العامة والخاصة المصرية والمنظمات والهيئات التابعة للأمم المتحدة.

يشعر متابع موقع «المركز الدولي للدراسات المستقبلية»، بأنّ همّاً يلازمه هذه الفترة، وهو القدرة على اجتذاب فئة من الزوار للموقع الالكتروني ممن يهمهم أن يجدوا أخباراً سياسية تجري حالياً، وعدم الاكتفاء بعرض المنشورات. لذلك، يمكن العثور على زاوية «أحداث هامة» لأبرز الأخبار يومياً. لكن المواقع الإخبارية تقوم على فريق عمل يعتمد السرعة والتنويع معياراً، لذلك فإن قدرة موقع إلكتروني لمركز دراسات على منافسة مواقع إخبارية، تبقى ضئيلة.

www.icfsthinktank.org

العربي السفير

قضية

تبدأ السلطات الكويتية، ابتداءً من العام المقبل، بتنفيذ خطة عِشرية هادفة إلى «تكويت» مهنة التعليم في الإمارة من خلال التقليل من الاعتماد على المعلمين الأجانب في مدارسها، وتحقيق الاكتفاء الذاتي من الكوادر الوطنية. يذكر أن عدد سكان الكويت يبلغ نحو ٣,٥ ملايين نسمة، منهم نحو مليون ومئة ألف كويتي، في مقابل مليونين و٤٠٠ ألف أجانب.

لغة الطعام: عاشت الزلابية!

مع تناولنا مائدة الإفطار، وتفحصنا كيفية كسر الصائمين صيامهم في مختلف أنحاء العالم العربي، اكتشفنا أمرين معاً: التنوع والثراء غير المحدودين في أطباق المجتمعات العربية، والقواسم المشتركة في الطعام، وأولها الزلابية، تلك الحلوى اللذيذة، البسيطة الصنع والكلفة. فعلى متعة الموضوع العظيمة وفوائده الجمة، نقاربه إذاً ليس كفلكلور. لحظة الإفطار، تكثّف المعاني. فالمرء الفرد والمجتمعات على السواء، يفطرون كما يصومون، بتقشف يتناسب مع الغايات الروحية أو الفلسفية للصيام لمن يُدركها، أو بوقوع على الدنيا لمن «عاقبه» الامتناع عن الطعام والشراب لساعات. وهكذا تؤشر العادات المتبعة إلى حالة عامة تتجاوز الفرْض الديني البحت، والذي يمكن أن يمارَس بتجويف أو بميكانيكية، لتقول الوعي السائد، ولتقول أيضا العلاقات الاجتماعية السائدة. وهو ما قصده كلود ليفي ستروس، عالم الانثروبولوجيا الأشهر، الذي أفرد مؤلفات كبرى وتأسيسية للطعام: «مطبخ أي مجتمع هو لغة يعبر بواسطتها ذلك المجتمع بطريقة غير واعية عن بنيته، أو أنه يكشف من حيث لا يدري عن تناقضاته». فكيف حين يضاف إلى «المطبخ»، مفهوم المقدس الذي يَنْظم حياة البشر، إذ يوزعها بين المعتاد والاستثنائي... ولولا ذلك لفقد انسياب الوقت معناه، ولضاع الزمن! وأخيراً، ولأنه لا مجتمعات بلا «مقدس»، مهما كان شكله واسمه، ولا مجتمعات بلا طقوس، ومنها الصوم والإفطار، فالمعرفة المتوافرة هنا، ولو أنها تخص رمضان ومنطقتنا، إلا أنها عالمية وإنسانية شاملة.

رمضان فلسطين.. من البيت إلى الشارع

أن تكون طفلاً من حيفا في رمضان، يعني، في أغلب الأحيان، أن تغترب عن المدينة وتستقر طيلة الشهر في بيت جدّك في هذه القرية أو تلك، في الجليل (شمال فلسطين) أو منطقة المثلث (مركز فلسطين)، فالجميع يتفق على أن «رمضان في حيفا لا طعم له».

أما في الجليل والمثلث، فأن تكون طفلاً في رمضان يعني أن يخدعك الكبار بصيام ما يعرف بفلسطين بـ«درجات الجامع»، أي الصيام حتى صلاة الظهر، أن تنتظر صوت الآذان على سطح المنزل عوضا عن سماع مدفع رمضان «مثل المسلسلات السورية»، وأن تحلم بمشاهدة المسحراتي التي مرّت طفولة آلاف الأطفال من دونه. أن تكون طفلاً في رمضان يعني أن ترفض جدّتك بدء الإفطار إلا إذا أُعلن موعد أذان المغرب بصوت «أبو جرير» – المقدم الأسطوري لبرنامج رمضان في الإذاعة المحليّة.

لرمضان فلسطين مميزات وشروط لا يمكن التنازل عنها، خاصةً في ما يتعلق بالمائدة: الحساء قبل الإفطار، طبق «المقلوبة» الوطني بامتياز، «القطايف» كمكوّن مركزي في تشكيلة الحلويات اليوميّة. أما المحظور فهو شيّ اللحوم، حيث يمكن للرائحة الشهية أن تتحول إلى «وسيلة تعذيب» للصائمين إذا ما انتشرت في الحي، هذا عدا عن أن «هيبة» شيّ اللحوم لا بد من أن تُحفظ لأيام عيد الفطر.

برغم هذا، لا تمر سنة من دون استحداث بعض العادات، ففي السنوات الأخيرة تعود شخصية المسحراتي لتظهر وتسحّر في شوارع القرى، ذلك بعد غياب لهذه العادة امتد منذ منتصف الثمانينيّاتُ تقريبا. إفطار العائلات في المطاعم عادة يرفضها كبار السن رفضا شديدا، لكنها تزداد من عام لعام، أما الصرعة الخاصة بهذا العام فهي دعوة الناس بعضهم لبعض لتناول طعام السحور، ومع هذا، لم يستطع أي فلسطيني حتى الآن أن يحلّ اللغز الأكبر: كيف ولماذا استبدلت قرى المثلث الحساء على مائدة الإفطار.. بأقراص الفلافل؟!

رمضان بالنسبة للكثيرين يعني المسلسلات التلفزيونية، أو على الأقل هكذا بدا الأمر، حتى بداية رمضان الحالي. نشهد تراجعا في متابعة المسلسلات، فغياب الدراما السورية عن الشاشات، إضافةً إلى انتشار مواقع الانترنت التي تسجل كل الحلقات من كل المسلسلات، حوّلت التلفزيون إلى عامل ثانويّ. أحد المصلّين أثبت ذلك: «الناس كانت في سنوات قبل، تصلّي التراويح بثماني ركعات، عشان ميفوتهنش المسلسل، السنة الكل بصلّي عشرين ركعة».

تتميز السنوات الأخيرة بالخروج من البيت، فكلما زادت إمكانات الترفيه في شوارع القرى، وازدادت معرفة التجّار بإمكان الربح من الأجواء الكرنفالية، ازداد خروج الأجواء الرمضانية من بيت العائلة إلى الشوارع، حيث يفتح الشهر إمكان لـ«حياة ليلية» لا تعرفها القرى عادةً. بعض الفتيات أشرن إلى أن هذه الأجواء تعطيهن إمكان غير وارد بالنسبة للبيئة المحيطة في الأيام العادية، للسهر والتجوّل خارج المنزل حتى ساعات الليل المتأخرة.

المدفع في ثاني أيام رمضان خارج مدينة القدس القديمة

في هذا السياق يجب التذكير، أن عادات شهر رمضان لا زالت تكرّس المقولة الذكورية بأن «المكان الطبيعي للمرأة في المطبخ»، ولا زالت تدفع المرأة إلى «تحمّل أعصاب زوجها» الصائم، وكأنها هي ليست صائمة، أو لا أعصاب لها!

أما في حيفا، إذا ما أغلقت المقاهي والحانات أبوابها وضجّتها باكرا، فيمكن أن يصلك صوت المؤذن بوضوح، يكبّر من جامع «عبد الرحمن الحاج» في الحليصة، أو «الاستقلال» في وادي الصليب، أو «الجرينة» في ساحة الحناطير، أو من مكبّرات الصوت التي نصبها أهالي وادي النسناس، لعلهم يشعرون بشيء من أجواء رمضان، حتى ولو على هامش المدينة.

موائد سلطة الاحتلال

لا تتوانى سلطة الاحتلال الإسرائيلي عن التدخل حتى في شؤون رمضان. فمنذ زمن طويل وما يسمى بـ«موائد الرحمن» لم تعد موائد لإفطار العائلات الفقيرة، بل ساحة تستغلها الحكومة الإسرائيلية عبر وكلائها لتكريس الوضع الاجتماعي القائم.

عن طريق المؤسسات، البلديات والمجالس المحلية، وشخصيات عربية متواطئة، وشخصيات إسرائيلية «مرموقة»، تصرف «الدولة» مبالغ طائلة على مآدب رمضانيّة، تُدعى إليها «قيادات اجتماعيّة» لتناول الإفطار، فيتحول الإفطار إلى ساحة خطابات مديح للجهة المنظمة، غالبا ما تكون من بطولة رجال دين من كل الطوائف، يتنافسون في ما بينهم بالحديث «عن التسامح والأخوة والسلام بين الأديان»، أو مخاتير الأحياء والعائلات الكبيرة، ناهيك عن دور الشخصية الإسرائيلية التي تمثل الدولة، والتي تدّعي احترامها للمسلمين وصيامهم، في حين تسن القوانين لمنع مكبرات الصوت في المساجد، وتواصل مخططات تدميرها المسجد الأقصى.

تكشف هذه الظاهرة البسيطة، التي تبدو للوهلة الأولى إفطارا رمضانيا روتينيا، النهج الذي تمارسه الصهيونية منذ بدأت مشروعها الاستعماري. تُشير دراسات أكاديمية كثيرة إلى سعي الاحتلال توطيد البنية الاجتماعية القائمة، بتعزيز دور رؤساء العائلات الكبيرة وقوّتها في المجتمع، ورجال الدين على اختلاف طوائفهم، وتمكينهم من قيادة المجتمع بهدف ضرب القيادة السياسيّة، أيّ تشتيت الصف الوطني عن طريق تعزيز الهويّات القبلية والطائفيّة.

في الأحياء الفلسطينية الفقيرة، يعرف الجميع أن «الفقير لا يذل نفسه» لهذا النوع من الموائد. التكافل الاجتماعي العفوي، والموائد التي تُعقد في القرى والأحياء بين البيوت، بتكافل وتعاون ومشاركة بين السكّان، وليس بتمويل سياسي، تبقى هي الظاهرة الرمضانية الحقيقية التي تحمل في تفاصيلها النبض الحقيقي للمجتمع، وفي تفاصيلها فقط، يمكن أن تلمس الإمكانيات والاحتمالات الكامنة في المجتمع.

مجد كيال

كاتب صحافي من فلسطين ـ حيفا

مئزر الحكومة وعرايا الشهر الفضيل في العراق

أفقٌ آخرَ لرمضان العراقي هذا العام، أفقٌ قد لا يتكرّر إلا كلّ ثلاثين عاماً. الشمسُ تنثرُ أسواط اللهب الخارق منذ الفجر وحتى المغيب، أسفلت الشوارع يمور تحت الأقدام محتفظاً بطبعات الأحذية.. إنها درجات الحرارة التي تجاوزت، حسب الأنواء الجويّة، خمسين درجة مئوية، لكن الناس صيام، فالصوم أحد الفروض التي تنجّي من الجحيم، والجحيم هنا له أكثر من معنى وأكثر من مكان.

الحوانيتُ تغلقُ أبوابها عند الحادية عشرة صباحاً. إلا دكاكين الفقراء التي تجني طيلة ساعات النهار وبعض ساعات الليل ما يكفي لسدّ الرمق. هنا، لا مكان للترف الرمضاني مهما كانت درجات حرارة الصيف، إنها معركة مستمرّة لأجل إسكات الأفواه الجائعة، وإن كانت معركة مع الطبيعة القاسية.

الصحنُ المشتركُ على مائدة العراق الرمضانية هو حساء العدس، وقد يختلف من حيث الإضافات بحسب الامكانات المادية، إذ يضاف للحساء لحم الخروف أو ربما الدجاج، وقد لا يضاف إليه شيء ويبقى العدس الأحمر سابحاً بمائه وبما يطوف على وجهه من بصل مقلي بالزيت. وهناك التمر واللبن اللذان يتسابقان إلى فم الصائم أحياناً قبل الماء. لكن الصحن الذي يُجمع العراقيون على تواجده بشهد غلاء فاحشاً، إذ ارتفع ثمن العدس هذا الرمضان ليصل سعر الكيلو الواحد منه الى ٤ آلاف دينار (ما يعادل أكثر من ٣ دولارات)، أي أكثر من ضعف سعره في الأيام الاعتيادية، فبات هديّة ثمينة تتبادلها العائلات طلباً للشكر، أو مدعاة للأجر الإلهي.

كما ارتفع سعر التَّمرُ الذي كان أوّل ما يفطر به الأولياء والخلفاء، والذي تشتهر أرض العراق بأنواعه النادرة، ربما لأن موسم قطافه لم يحن بعد كما يقول أصحاب البساتين، ما حدا بالتجار إلى استيراده من دول الخليج.

في ظهر بغداد القائظ، لا تعدم أن تجد شاباً يتوسّل شرطياً أن يعفيه من الذهاب إلى مركز الشرطة ليدفع غرامة لقاء إفطاره المعلن، بتدخينه سيجارة في الشارع. إنه قانون لم تلغه الحكومات المتعاقبة، على الرغم من ادّعائها حريّة الفرد في عقيدته وفي اختياره. كما تشكو الشوارع التجاريّة المنتشرة في المدن العراقية من قلة روادها، الذي عززه قرار الحكومة غلق المطاعم خلال شهر رمضان، وهو محل خلاف كبير لكونه امتداداً لقرارات النظام السابق، ولا يتساوق مع مواد الدستور الجديد الذي يضمن حرية المعتقدات كما يضمن حرية ممارسة طقوس الأفراد. ومعروف أن المطاعم تشكل عصب حياة الشوارع التجارية الرئيسة في المدن.

قبيل الإفطار، وبغداد خالية تماماً من الناس، تتناهى إلى الأسماع تلاوات القرآن بمقامات عراقية أصيلة. وتتسلل الى الشوارع من نوافذ مطابخ البيوت روائح البصل المحروق، مضمخة بروائح الرز البرياني و«تشريب» اللحم والدجاج الزاخر بالدسم. ورغم كل شظف العيش، فما زال العراقيون يصرون على طبخة من «الضولة» اللذيذة خلال الشهر، وهي التي يتطلب إعدادها وقتاً ومجهوداً خاصين.

لكن المشهد الذي يبقى شاخصاً وسط الصمت والروائح، هو للباعة المتجولين الذين يفردون ما خف وزنه من زادٍ على الأرصفة، بانتظار مدفع الإفطار، لأنهم لا يتحمَّلون تكاليف ذهابهم الى بيوتهم والعودة الى أرصفة الرزق، لذا سيبقون بانتظار أن يحل ضجيج العائلات مجدّداً في الشوارع. القرارات المتخبطة التي تتضامن مع القيظ تجعل الشوارع مقفرة إلا من المتنزهين بسياراتهم الفارهة المبردة، والذين يسيرون في الشوارع كسائحين قادمين من مدن بعيدة. مما يوشح الشوارع بوحشة خاصة.

أفقٌ آخر لرمضان العراقي هذا العام، هو عودة التقاليد الاجتماعية في الولائم الرمضانية كما عودة موائد الرحمن في المساجد والحسينيات التي تعّد ولائم الإفطار للمصلين، ولائم طغت عليها هذا العام مطابخ العولمة، فهي بمجملها وجبات جاهزة ملفوفة بالنايلون، ضمن أطباق بلاستيكة تستخدم لمرة واحدة، عمادها أكلات الكباب العراقي وشاورمة اللحم أو الدجاج أو أنواع من الكبة، تضاف الى الرز الأبيض أو الأصفر الذي يملأ الصحون، وطبق الحلوى المكون من عدة قطع من «الزلابية» المُعدَّة من الدقيق والسكر والزيت، و«البقلاوة». هذا عن المصلين، فماذا عن العائلات؟ أغلبية العراقيين من الفقراء يتعففون عن ارتياد تلك الموائد، ثم إن تداخل العلاقات الاجتماعية في مناطق هذه المساجد والحسينيات يمنع افراد تلك العائلات من الذهاب للحصول على صحن من تلك الصحون. وهنا يبدأ دور المحسنين في توصيل الفائض الى بيوت المعوزين مباشرة. كما غالباً ما تحل الصلات العائلية الفرعية محل الحاجة للسؤال. وبموازاة موائد الرحمن تأتي في رمضان هذا العام ظاهرة سيارات الشحن التي توزع الماء المعلّب والرز وزيت الطبخ في المناطق الفقيرة التي تقع في أطراف بغداد: تجّار ميسورون يقومون بهذا، لكن بعضهم استغل بضاعته المنتهية الصلاحية، ليحصل مقابلها على ثواب إلهي، قد يكون هو الآخر منتهي الصلاحية!

السابعة والربع مساء، يحين وقت الإفطار في بغداد. تناقل العائلات أصناف الطعام بين بعضها البعض. في الحارات الشعبية تمر الصواني من بيت الى بيت في حركة متقاطعة لا تهدأ. عزاء آخر للفقير المفتقد لحصته التموينية التي تعاني فساداً مالياً وإدارياً هائلين، والتي تعدُّ آخر ثوب على جسده.. وها هي الحكومة تجرده منه حتى في أيام الشهر الفضيل.

من أحد الأسواق المسقوفة في بغداد

عمر الجفّال

شاعر وصحافي من العراق

الفريكة ملكة المائدة الفلسطينية

على مر السنين، زرع فلاحو بلادنا القمح معتمدينه ركيزة أساسية للحياة. أما الأرز فلم يعرفه المطبخ المحلي بشكل شائع إلا مع دخول الجيوش الأجنبية إلى المنطقة. ومن هنا جاء المثل الشعبي القائل: «العزّ للرزّ والبرغل شنق حاله». وإلى جانب البرغل ابن القمح الذي «شنق حاله»، تأتي الفريكة، وهي عبارة عن قمح أخضر يمكن أن يطهى مع اللحم أو من دونه. والفريكة أكلة معروفة في بلاد الشام والعراق وسائر دول حوض المتوسط، وتعتبر من أشهر وصفات المطبخ الفلسطيني.

عن الفريكة تحدّثني أمي، هي المولودة لأب فلسطيني وأم لبنانية جنوبية، والتي عاشت طفولتها وشبابها في مخيم عين الحلوة. تقول أمي إن المنطقة المحيطة بالمخيم شرقاً، والمعروفة اليوم باسم «الفيلات»، كانت في السابق مساحات من حقول القمح ونباتات الفول الأخضر. كان أطفال مخيم عين الحلوة آنذاك يقصدون حقول القمح في موسم الحصاد وينتظرون أن يغفل الحصّادون عن سنبلة أو سنبلتين فيغنم الصغار حبوب القمح الخضراء اللذيذة المشويّة أي «الفريكة»، وهي حبوب القمح الخضراء التي تحصد قبل نضجها ثمّ تعرض للحرارة في سنابلها لاستخراج حبوب القمح مشوية ذات نكهة مدخّنة رائعة قبل أن يتمّ جرشها لتصير مثل البرغل.

يبدع الفلسطينيون في تقديم الفريكة مطبوخة مع قطع اللحم أو الدجاج، أو مطهوة جيداً للحساء. وهي تعتبر من الأكلات الغنيّة التي يكرّم بها الضيوف، كما تقدّم في جميع المناسبات، من أفراح وأتراح. وفي رمضان تشارك الفريكة الأطباق الرمضانية التقليدية المعروفة، كالفتوش والشوربة على أنواعها، وأهمها شوربة العدس التي عادة ما يرافقها صحن من الكبّة النية، وهي أكلة تصنع من اللحم المفروم بشكل ناعم، أو الأصح المسحوق، المزوج بالبهارات والبرغل الناعم. وتبعاً لميزانية العائلة، تتنوّع ألوان الطعام في المائدة الرمضانية من الطبخات الشائعة في بلاد الشام كالملوخية، التي غالباً ما يفتتح الصائمون بها الإفطار في اليوم الأول للصيام، تفاؤلاً بلونها الأخضر وما فيه من دلالات على الخير. في الشراب، كان لنقوع «قمر الدين» شعبية أكثر من الجلاب والتمر هندي. وبطبيعة الحال تتربّع القطائف على عرش الحلويات الرمضانية، وتجاورها حلوى مصنوعة من العجين المقلي وتدعى الزلابية، وحلويات شرقية أخرى كالمشبّك والعوّامات (لقمة القاضي) والسفوف والنمّورة. أما وجبة السحور فكان لها سحر خاص، إذ يقبل أهالي المخيم على تناول الطعام الحلو المذاق كالمربى والزبدة والحلاوة الطحينية، إلى جانب اللبنة والجبنة الصفراء والزيتون المكبوس منزلياً والمناقيش. ومن طفولتي التي قضيت أولى سنيّها في دارنا في المخيّم، ما زلت أسمع صوت المسحّر في حارتنا الجميلة التي سكنّاها، إلى أن أصيبت أمي في غارة اسرائيلية هناك، وقرر والداي الرحيل للمدينة طلباً لأمن لم يستتب.

بالعودة للفريكة، جدير بالذكر أنها دخلت مؤخراً المعترك الاجتماعي السياسي في صراع إثبات وجود. فمع مطلع العام الحالي، نشرت صحيفة هآرتس الاسرائيلية مقالا بعنوان «إليكم الفريكة: الحبوب الحَدَث للعام ٢٠١٢»، نقلا عن مدونة للطباخة الإسرائيلية فيريد غوتمان، وهي يهودية من أصول روسية، وتدير حاليا في الولايات المتحدة مطعماً يحمل اسماً شرق أوسطياً بامتياز (Cardimom and Mint)، أي «هال ونعناع». تقول غوتمان في تدوينتها: «لسنوات، لاحظ الاسرائيليون، وهم المهتمون بمتابعة فنون الطبخ، شهرة الفريكة في البلاد. وبالرغم من أنها معروفة منذ قرون، إلا أنها قدمت للناس مجددا من قبل الطباخ الشهير إيريز كومارو فيسكي، الذي تعرّف على الفريكة من العرب المقيمين في الجليل. ولم يمض وقت طويل حتى بدأنا نرى الفريكة في كل مطعم أنيقَ وفي كل دكان في تل أبيب». وتتابع غوتمان شارحة كيفية صناعة الفريكة وطرائق تقديمها المختلفة، من دون أن يفوتها ذكر أنها من مأكولات الشرق الأوسط الأقدم تاريخياً، محددة أنها وردت في نصوص من «سفر اللاويين». أمّا التعليقات التي تبعت ذلك المقال، فقد أتت من فلسطينيين وعرب غاضبين نعتوا غوتمان بالسارقة، في محاولات إنقاذ لـ«فلسطينية» الفريكة أو «عروبيتها»، قبل أن يتمّ السطو عليها كما حصل مع الفلافل والحمّص!

أمل كعوش

فنانة فلسطينية من لاجئي لبنان

في البحرين، الشيعة والسنة يتعمدون الإفطار بفارق دقائق! ولكن رمضان هو رمضان

تشهد البحرين ارتفاعاً جنونياً في درجات الحرارة والرطوبة التي تتجاوز أحياناً ٥٠ درجة مئوية، مما يضاعف معاناة الصائمين. في الأزمنة السابقة كانوا يكتفون باللبن والتمر، أما الآن فاتسعت المائدة للماء المنقوع بخيوط الزعفران وماء اللقاح (طَلْع النخيل)، وعصير الليمون. ومع تلاقح الثقافات وتداخلها، صارت عامرة بمشارب كقمر الدين والسحلب والكركديه وغيرها. وكما الاختلاف دارج وعادة متأصلة على هلال شهر رمضان بين السنة والشيعة، فإنه يمتد ويصل للحظة الإفطار التي تختلف بفارق «عشر دقائق» بين أذان هذه الطائفة أو تلك.

لا يغيب طبقا «الهريس» (القمح باللحمة)، و«الثريد» (مرق اللحم بالخضار والخبز)، عن سفرة الإفطار الخليجيّة، إذ تخبرنا الجدات أنها سهلة الهضم ومغذية، عدا إنها مذكورة في سير الأولين، وفي أوقات العسر، تكتفي العائلات بطبق واحد منهما، أما في زمن الترف، فالسفرة تكتظ بهما وبغيرهما، مما لذ وطاب، المُعد منزلياً من ربات البيوت والشغالات اللاتي تتضاعف مهماتهن، وتتكاثر حالة الشره للأكل وإعداده، ويُكثر من التهام اللحوم والمقليات والحلويات، وقليل من الخضار والأسماك، ما يعني أن السفرة الرمضانية لا تزال تحتفظ بخصوصيتها ورونقها وإن حدثت مبالغة في إعدادها ومكوناتها. أما وجبات العولمة السريعة من «شيبس» و«هامبرغر» وخلافه، فتكاد تختفي، وغالباً يُقبل عليها الصائمون من شباب وأطفال أوقات السحور فقط، أثناء ارتيادهم المجمعات التجارية.

حالة المائدة الرمضانية تبرز الفروقات بين مقتدري الحال ومتوسطيه في كمية الأطباق وتنوعها، لا سيما مع موجة التسريح القسري من الأعمال، والبطالة التي يعاني منها المعارضون ممن شاركوا في احتجاجات الانتفاضة. ولكن قصر ذات اليد عزز الحد من الاستهلاك والشره، كما نمّى التضامن. تبدو البحرين أفضل حالاً من غيرها، إذ قليلاً ما ترتاد العائلات المطاعم للإفطار، فالأخير بالنسبة لهم مناسبة للم الشمل في البيت، والعودة للقاء الأصحاب وتبادل أطباق الطعام المتنوعة بين الأهل والجيران، وهي عادة آخذة في الانحسار في المناطق السكنية الجديدة، خصوصاً عند جيل الشباب، لكنها مستمرة في الأحياء القديمة برغم انتشار العمالة الأجنبية في تلك المناطق.

الثابت، أن السفرة الرمضانية تفتقد المغتربين الذين شردهم البطش والتنكيل أو الدراسة في الخارج، كما تختلط روائحا بالدخان المسيل للدموع في احيان أخرى. وهي تمثل كلفة مرهقة لميزانية الأسرة التي غالباً ما يتضامن أفرادها لتغطية مصاريفها، حيث تبلغ مصاريف الأسرة متوسطة الدخل أسبوعياً حوالي ٦٠ ديناراً بحرينياً، بينما لا يزال الحد الأدنى للأجور لا يتجاوز الـ٣٠٠ دينار شهرياً) وسط تذبذب أسعار السلع وارتفاع بعضها بنسب قد تصل الى ١٠٠ في المئة. ومع ذلك تبقى الأسر البحرينية الفقيرة متعففة في الإفصاح عن حاجتها وعوزها. لكن تعاظم دور الصناديق الخيرية وبعض مؤسسات المجتمع المدني يشي بحجم ذلك العوز. كما تنتشر ظاهرة توزيع «السلات الرمضانية»، وكوبونات المشتريات، فيما تقام الموائد يومياً في المساجد أو في خيام تنصب لهذا الغرض، وبالطبع يرتادها أبناء الجاليات الأجنبية الآسيوية. وعند الطائفة الشيعية، تقام تلك الموائد في المساجد باسم «إفطار صائم» ويحضرها جمع متنوع من المستويات الاجتماعيّة.

إثر الانتفاضة، انتشرت بكثافة رسائل الوسائط الاجتماعية ذات المغزى الديني والاحتفالي برمضان، ورُبطت بالأحداث. وفي مجموعة حوارية لصديقات عبر «الوتس آب»، تعلق أحداهن: «من مطبخي اللاطائفي، أقدم محلبية عيش بماي ورد وزعفران إيراني أصلي، وأكيد راح نتهم أننا خونة وصفويين. ما علينا. فالسر في الطعم، وإفطار مريح وهادي»، كما غدت صور حلوى «الزلابية» البرتقالية والمتداولة رمضانياً دلالة على الصمود والثبات على المبدأ. يستمر رمضان بطقوسه، فيستحضرني قولٌ لابن خلدون: «الأمة تأخذ الكثير عن سابقتها، ولا تغفل عن عوائد جيلها.

منى عباس فضل

باحثة من البحرين

خبز وغازات سامة في البحرين

العربي السفير

متابعات

العالم العربي مهدَّد بأزمة غذائية ناتجة عن الجفاف الذي ضرب الولايات المتحدة، وأدى إلى ارتفاع أسعار الحبوب. ويتوقع أن تكون مصر والمغرب من أبرز المتأثرين بالأزمة. فمصر هي أكبر مستورد للقمح في العالم (أكثر من ١٠ ملايين طن سنوياً). أما المغرب، فقد انخفض المحصول المحلي لديه من ٨,٤ ملايين طن في ٢٠١١، إلى ٥,١ ملايين طن هذا العام.

نساء الأردن ينتفضن على «شرف العائلة»

تُلاقي عشرون من نساء الأردن حتفهن سنوياً دفاعاً عن «شرف العائلة»، فيما تُقتل أخريات بصمتٍ من دون أن توثق السجلات أرواحهن. يُخفق الضغط الذي تمارسه منظمات المجتمع المدني عن وضع حدٍ للجريمة، وتواجَه بالرفض محاولات تغيير القوانين التي تحمي مرتكبي الجرائم. وتقابل الناشطات ضد الجريمة بنقد يصل إلى حد اتهامهن بإشاعة «الفاحشة»!

جغرافيا الجريمة

تكشف إحصائية غير رسمية للجرائم المرتكبة خلال الفترة الممتدة بين العامين ٢٠٠٠ و٢٠١٠ تصدّر العاصمة القائمة بواقع ٣٧ جريمة، وعمان هي الأكثر مدنيّةً وبعداً عن العشائرية، وتسكنها أغلبية أردنية من أصول فلسطينية. تليها محافظة اربد (٦٩ كيلومتراً شمال عمّان) بواقع ٢٤ جريمة، وهي تمتاز بخليط أردني فلسطيني ينحاز للمدنية. وتنخفض الجرائم في محافظات تعتبر أكثر بداوةً وعشائرية، غالبية سكانها من الشرق أردنيين. وفقاً للإحصائية، سُجل في محافظة الكرك (١٢٠ كيلومتراً جنوبي عمّان) ١٣ جريمة، فيما تنخفض إلى سبع الجرائم في محافظة معان (٢١٦ كيلومتراً جنوبي عمّان). وسجلت الفحيص (٨ كيلومترات غربي عمّان) ذات الأغلبية المسيحية، جريمتين. وتوزعت بقية الجرائم (قاربت ٢٠٠ جريمة) بنسب متفاوتة بين مناطق المملكة. وتظهر جغرافيا الجريمة تخطّيها لعوامل الحداثة والدين والأبعاد الاجتماعية والعرقية. غير أن الكثافة السكانية وفعالية الضابطة العدلية تعتبر عوامل رئيسية في تباين أعداد الجرائم جغرافياً، فنجدها مرتفعة في العاصمة التي يقطنها ثلث سكان الأردن وتنشط فيها الضابطة العدلية، وتنخفض في المحافظات الأقل كثافة والتي تحكمها العقلية العشائرية الساعية إلى التعامل مع جرائم الشرف بعيداً عن الضابطة العدلية وأروقة القضاء، خوفاً من وصمة العار.

الشرف اولاً

تؤسس النظرة المجتمعية للمرأة لجرائم الشرف. تكشف دراسة أجراها «مشروع التمييز الثقافي والقانوني نحو الفتاة الطفلة في الأردن » العام ٢٠١١، وشملت الفئات السكانية الرئيسية (العاصمة، الزرقاء، اربد، المفرق، العقبة، والكرك) أن ٨٠.٩ في المئة من الأهالي المستطلعة آراؤهم يعتقدون أن حماية الأنثى تعني حماية شرف العائلة. وتظهر الدراسة نتائج صادمة تجاه موقف المجتمع من المرأة، الذي يرى ٥٥ في المئة منه أن الفتاة بحاجة إلى مرافقة من أخوتها الذكور عند الخروج من المنزل، ويعارض ٦٦ في المئة أن تُعطى الفتاة الحرية نفسها للخروج من المنزل مثل أخيها من العمر ذاته. ويعارض ٤٩ في المئة منهم أن تلعب الطفلة الفتاة خارج المنزل في وقت فراغها. ويقول ٢٩ في المئة من المستطلعة آراؤهم إن الفتاة مهما تعلمت فمصيرها الزواج. وحسب الدراسة، فإن مصدر قناعات ٢٩ في المئة هو العادات، و٢٥.١ في المئة يعتقدون أن قناعاتهم تنبع عن مواقف شخصية، بينما يرجع ١٦ في المئة قناعاتهم الى العوامل المجتمعية، و١٥.٥ في المئة إلى الدين.

يصطدم الضغط الذي تمارسه منظمات المجتمع المدني بالمؤسسة التشريعية التي تقف سداً منيعاً أمام محاولات تغيير القوانين لإلغاء العذر المخفف عما يقال له جرائم «الشرف».

جناة يحميهم القانون والمجتمع

تحمي القوانين في الأردن مرتكبي جرائم الشرف. يصطدم الضغط الذي تمارسه منظمات المجتمع المدني بالمؤسسة التشريعية التي تقف سداً منيعاً أمام محاولات تغيير القوانين. مجلس النواب الأردني تراجع في العام ٢٠١١، تحت ضغط المجتمع، عن إقرار المادة ٧٦ من القانون المعدل لقانون العقوبات المؤقت، والتي تقضي بأنه «لا يجوز استعمال الأسباب المخففة في جرائم الاعتداء»، مواصلا بذلك حمايته لمرتكبي جرائم الشرف المستفيدين غالباً من الأسباب المخففة للإفلات من عقوبة رادعة.

في جرائم «الشرف»، تبين المادة ٣٤٠ من قانون العقوبات الأردني الأسباب المخففة للعقوبة، حيث «يستفيد من العذر المخفف من فوجئ بزوجته أو إحدى أصوله أو فروعه أو أخواته حال تلبسها بجريمة الزنا أو في فراش غير مشروع فقتلها في الحال أو قتل من يزني بها أو قتلهما معاً أو اعتدى عليها أو عليهما اعتداءً أفضى إلى موت أو جرح أو إيذاء أو عاهة دائمة».

إصرار المؤسسة التشريعية على عدم إسقاط الأسباب المخففة عن جرائم «الشرف» دفع بالمؤسسة القضائية إلى التشدد في تطبيق شروط تلك «الأسباب»، ومنها المفاجأة والفعل المشهود.

تحصر المادة الشروط الواجب توافرها لإعمال العذر المخفف في عنصر المفاجأة، وبأن تكون مرتكبة جريمة الزنا في حالة التلبس. تَوافُر الأسباب والشروط تخفض عقوبة الجاني، ووفقا للمادة ٩٧ من قانون العقوبات تنخفض في الجناية الموجبة للإعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة أو الاعتقال المؤبد إلى الحبس سنة على الأقل. ووفقا للمادة ذاتها، فإذا كان الفعل يؤلف إحدى الجنايات الأخرى، كان الحبس من ستة أشهر إلى سنتين، وإذا كان الفعل جنحة فلا تتجاوز العقوبة الحبس ستة أشهر أو الغرامة خمسة وعشرين دينارا.

إصرار المؤسسة التشريعية على عدم إسقاط الأسباب المخففة في جرائم الشرف، دفع بالمؤسسة القضائية إلى التشدد في تطبيق «الأسباب»، لا سيما ان غالبية الجرائم لا تنطبق عليها المادة ٣٤٠ من القانون. وتظهر دراسة أجراها المجلس الوطني لشؤون الأسرة في العام ٢٠١٠ أن ٧٨ في المئة من المجرمين لا يستفيدون من العذر المخفف. لكن كيف يفلتون من العقاب الرادع؟ بحسب الدراسة فإن ٧٠ في المئة من المجرمين يستفيدون من إسقاط الحق الشخصي لذوي المقتولة، الأمر الذي يوفر لهم الحد الأدنى من العقوبة، وهو إسقاط يدلل على موافقة أسرية على الجريمة التي تظهر الدراسة أن الأخوة يشكلون ٦٩ في المئة من مرتكبيها.

الانتفاضة

ناشطات في مبادرة «لا شرف في جريمة الشرف» ينشطن منذ سنوات عبر مواقع التواصل الاجتماعي لإيجاد رأي مناهض للجريمة، ويوثقن الجرائم وقصص الضحايا والمجرمين، هالهن أن تمضي السنوات والنتيجة «مكانك راوح» فاخترن «الثورة»، وتظاهرن مشكّلات سلسلة بشرية رفعن خلالها شعار: «ذبحتونا بشرفكم». وإن واجهن هجوماً عليهن، في الواقع والفضاء الالكتروني، بعبارات ليس أقلها أنهن... «فاجرات»، فهن لن ييأسن.

محمد الفضيلات

صحافي من الأردن

حلم ..

حسن المسعودي / العراق

arabi.assafir.com

اقرأوا على موقع «السفير العربي» وصفات لوجبات رمضانية من أنحاء العالم العربي:
ـ الحريرة المغربية ـ الفريكة الفلسطينية ـ الضولمة العراقية
وطقوس الإفطار في موريتانيا وتونس والأردن.
كما يستقبل الموقع وصفات الوجبات من القراء... فراسلونا!

.. بألف كلمة

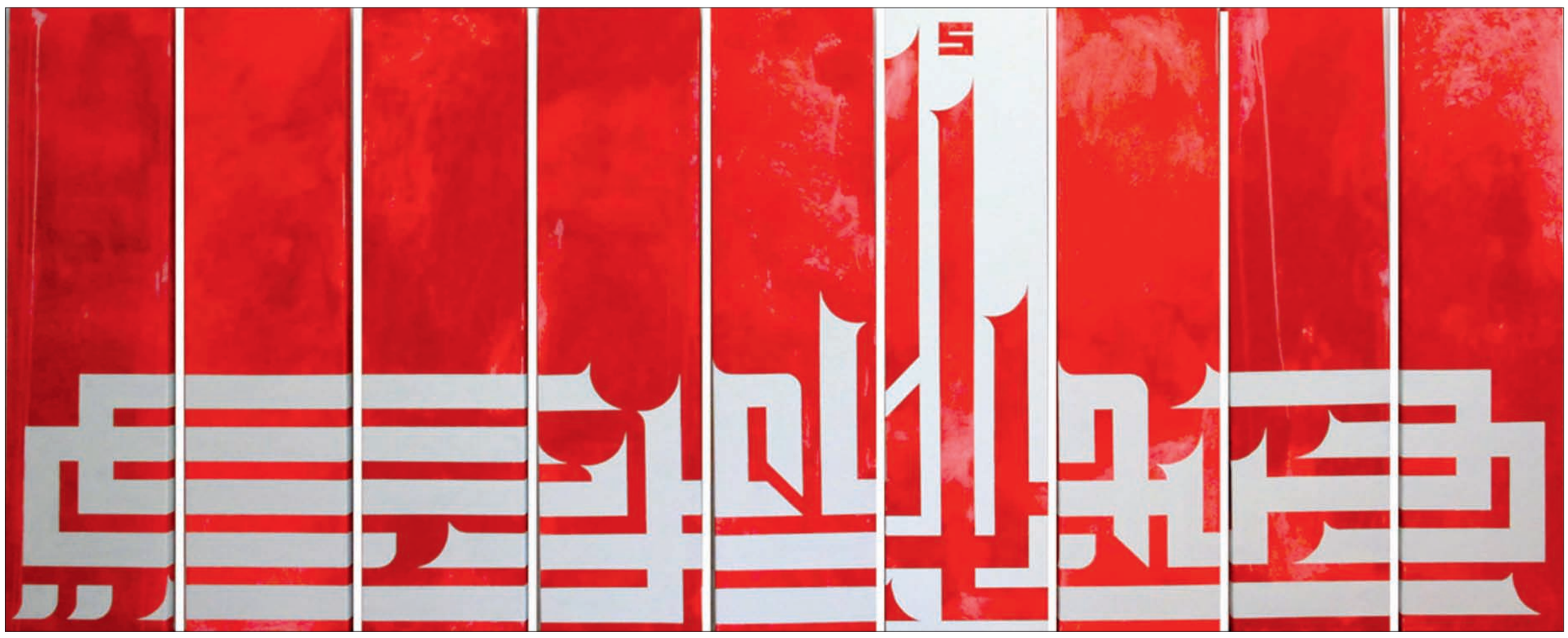

تحية إلى محمود درويش في الذكرى الرابعة لرحيله.

«سجل أنا عربي» حروفيّة للفنان التونسي «السيد»

مدونات

«كبريت» فاعل

«نحن مجموعة من الشباب السوريين يجمعنا حبّ الوطن.. لا ننتمي إلى أي تيار سياسي معارض، نكتب، نرسم، نصور، ونؤلف باسمنا وليس باسم أي جهة أخرى». هكذا بدأت تجربة مدونة «كبريت». بعيداً عن الرقابة والمحاسبة، قرّرت مجموعة شبابية التعبير عن نفسها في عالم التدوين الحرّ. لكن لا أسماء حقيقيّة. كلّ الأسماء التي تذيّل المقالات وهميّة لأنّه «في هذه الظروف لا نستطيع... لذلك نعمل حتى يتسنى لكل سوري أن يكتب وينشط باسمه». تبويب مدونة «كبريت» واضح ومنظّم: مقالات، أخبار بلدنا، مدونات سورية، حبر حر، شهداؤنا ومعتقلونا، ميدانيات، سياسيون، برامج، فيديو وصور. في الجوّ العام، كلّ الأبواب تصبّ لمصلحة الخبر السوري والثورة.
نشاط المدونة وتحديث مقالاتها بسرعة يوحيان بأنّ فريقاً كبيرا ومنظّماً يقف خلفها. و«كبريت» هي جزء من عمل منظّم لشبكة مدونات سورية. تجول المدونة بين دير الزور ومخيم اليرموك إلى القبير وغيرها. لا تكتفي «كبريت» بإظهار الآراء بل تعرف بشخصيات سياسية سورية وتعرض أسماء الشهداء. وتخصص مساحة لإجراء لقاءات مع ناشطين سوريين. وتتميّز «كبريت» بمتابعتها عمل سائر المدونات السورية، من خلال الرصد وتقديم ملخّص عن أبرز ما ورد فيها.

http://kebreet.net/

«حلم أخضر» في السعودية

يهتم طراد الأسمري بالفقر والبطالة في المملكة العربية السعودية. اختار التدوين لإبراز قضيّته فكانت «حلما أخضر». يحتلّ اللون الأخضر زوايا وتبويب المدونة. واضحٌ هو اصرار طراد على اظهار التناقض في مجتمعه. برأيه من غير المنطقيّ أن يكون شباب بلاد النفط «عاطلين» عن العمل و«فقراء محتاجين». خطوة جريئة ولافتة قام بها طراد، أمعن النظر الى مدونة سعودية تضمّ أكثر من ١٠٠ ألف عاطل عن العمل. سمع معاناتهم وشكواهم وحملها كما هي الى مدونته. أكثر من عشرين تعليقا، تحمل الكثير من يأس الشباب السعودي. في باب «خطوط خضراء» رسوم كاريكاتورية.
كلّها مرتبط بالغلاء والفقر والبطالة. وللفيديو حصّته. حكايات متعبين من الوضع، جمعها طراد وعرضها على مدونته. لا تخلو الحلم الأخضر من الأرقام والوقائع، والتقارير الصحافية. إضافة الى إعلانات عن الانترنت، جمعها وعرضها على مدونته في محاولة للسخرية من «الواسطة» ودفع الأموال المتبعين في المملكة للتوظيف. في آخر التدوينات تعليق مطوّل عن استخدام أحد المشايخ للدين في سبيل الترويج لرأيه الشخصي. جريئة هي مدونة «الحلم الأخضر»، لكن التدوين فيها يسير مؤخراً بوتيرة بطيئة.

http://tradalasmari.com/

مدونة «الجالية المغربية»

لم تعد الجالية المغربية في العالم وحيدة. وإن كانت وسائل الإعلام التقليدية لا توليها اهتماماً، فعالم المدونات فتح الباب لاستقبال أخبار ابنائها. الشاب المغربي خالد بلاني، الباحث والناشط المدني المقيم في بلجيكا أنشأ مدونة «الجالية المغربية بالخارج». لا يحصر خالد اهتمامه بدولة واحدة. بل تكاد التغطية تكون شبه شاملة.
ما يقوم به خالد، حوّل المدونة أشبه بصحيفة أو مدونة الكترونية. هي ليست مساحة للرأي. مدونة «الجالية العربية بالخارج» هي أشبه بالعمل الصحافي. في التدوينة الأخيرة، تحقيق عمّا تجنيه فرنسا من أموال بسبب أعداد طالبي الفيزا المغربيين. كما تفسح المدونة المجال أمام أغلب الأخبار والتصريحات الصادرة عن مسؤولين والمتعلقة بالجاليات في العالم. ولا يتوقّف المدّ الصحافي عند هذا الحدّ، بل يتعدّاه الى اجراء خالد «المقابلات الصحافية» ونشرها على مدونته. يكاد عدد زائري المدونة يلامس التسعة آلاف زائر. من هنا تبدو الحاجة إلى اهتمام بالجاليات العربية في العالم.

http://bladimaroc.maktoobblog.com/